المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي

د. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم
أستاذ التاريخ القديم المشارك
قسم التاريخ / جامعة أم القرى

The Social and Economical Perspectives of the Crafts in Mecca Before Islam According to Al-Fakihi Book

PhD Abdul Mue'ty Bin Muhammad Abdul Mue'ty Simsim
Instructor of the Ancient History
Dept. of History/ University of Um Al-Kura

Abstract

The present research studies the crafts in Mecca and their effect on the social and economical aspects of life in Mecca society before Islam depending the historian Al-Fakihi's book (the News of Mecca). This book is a study of the crafts in Mecca before Islam.

مقدمة:

تحظى الدراسات التاريخية الحضارية – في الفترة الأخيرة – باهتمام كبير من جانب الباحثين، بمختلف جوانبها المعمارية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يمكن من خلال دراسة ظاهرة ما من ظواهر هذه الجوانب: 1– التعرف على الدور البارز الذي لعبته هذه الظاهرة الحضارية في نهضة المجتمع 2– وتأثيراتها على نهضة الأمم منذ القدم.

وفي هذه الدراسة يحاول الباحث الوقوف على دور الحرف والصناعات بمكة المكرمة، وأثرها والقائمين عليها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المكي قبيل بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وذلك من خلال أحد أهم مصادر تاريخ مكة المكرمة، وهو كتاب (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) للمؤرخ المكي أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، وهي دراسة دقيقة للحرف والصناعات التي ذكرها الفاكهي في كتابه، والتي عرفت في المجتمع المكي قبيل بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وامتداد تلك الحرف والصناعات إلى صدر الإسلام. والتعرف على تلك الحرف والصناعات وانتشارها في ربوع مكة، ودور أهل المجتمع المكي وما بذلوه في سبيل الارتقاء بحرفهم وصناعاتهم.

وصاحب كتابنا (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه) ولد في مكة المكرمة، ولم تحدد لنا المصادر التاريخية سنة ولادته ولا سنة وفاته إلا ما ذكره الفاسي[1] بقوله: "... وما عرفت متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة اثنتين وسبعين ومائتين.... " وقد جعل محقق كتابه عبد الملك بن عبد الله بن دهيش [2] مولده ما بين سنتي (215–220هـ)، ووفاته ما بين سنتي (272–279هـ)، وذلك من خلال دراسته المقارنة لوفيات مشايخ الفاكهي.

نشأ العلامة الفاكهي في كنف والديه في مكة المكرمة، والتحق هناك بعلمائها، وبطلاب العلم الوافدين إليها من علماء الأمة في ذلك الزمن، وقد حظي بمكانة اجتماعية وعلمية كبيرة بين علماء مكة، وتتلمذ على العديد من مشايخ الحرم، كما كانت له رحلاته العلمية إلى بغداد، والكوفة، واليمن، وهو علم من أعلام البلد الحرام.[3]

(1) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، 1378هـ، 1/ 310.
(2) أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه, دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش, ط 2، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1414 هـ / 1994 م، 1/ 11، 82.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، المقدمة بقلم عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، 1/10-29.

ويعُد كتابه الذي يحمل عنوان " أخبار مكة في قديم الدهر وحديثة " من الكتب النفيسة والمهمة في تاريخ البلد الحرام، قال عنه الفاسي[1]: "... إن في كتاب الفاكهي أموراً كثيرة مفيدة جداً، ليست من معنى تأليف الأزرقي، ولا من معنى الذي ألفناه..." ووصف بن دهيش كتابه بقوله: [2] إن المادة العلمية والتاريخية والأدبية المدونة في كتابه عن تاريخ مكة تفوق بكثير ما دونه وسجله الأزرقي في كتابه "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار"، أو ما دونه الفاسي في "شفاء الغرام"، رغم شهرتهما، فالأبواب التي تطرقها الفاكهي متعددة، على الرغم أن ما وصلنا من كتاب الفاكهي وبين أيدينا هو النصف الثاني من كتابه، الذي يحتوي على حوالي (425) مبحث ضمت حوالي ثلاثة آلاف رواية ما بين حديث وخبر وأثر، بينما فقد النصف الأول من الكتاب، ولو افترضنا أن المفقود من الكتاب يساوي الموجود بين أيدينا، فنكون أمام أكثر من ستة آلاف رواية من الأحاديث والأخبار أو الآثار، فنجد أنفسنا أمام عمل موسوعي ضخم، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار حرص الفاكهي على عدم تكرار أي من الأحاديث والأخبار أو الآثار.

ومن هنا كان اختيار الباحث لموضوع الحرف والصناعات في مكة المكرمة من خلال كتاب الفاكهي، لما لهذا الكتاب من أهمية تاريخية لتاريخ البلد الحرام عبر عصريه القديم والقرون الإسلامية المبكرة – زمن المؤلف –، حيث يُعد وثيقة مهمة في تاريخ البلد الحرام، إذ أشار المؤرخ في كثير من فقرات كتابه الذي بين أيدينا، إلى الفترة التاريخية التي سبقت بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وشملت معظم النواحي والأنشطة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في مكة المكرمة خلال العصر الجاهلي وهو فيما قدم جدير بالدراسة، لا سيما وأن هناك بعض الباحثين تناول جوانب مختلفة من هذا الكتاب منها دراسة عن الحياة الدينية في مكة المكرمة في العصر الجاهلي من خلال كتاب الفاكهي. [3] ثم كان اختيار الباحث لدراسة موضوع الحرف والصناعات في مكة من خلال كتاب الفاكهي، التي كانت سائدة في المجتمع المكي قبل البعثة، واستمرت في العهود الإسلامية المجيدة.

ومن المهم الإشارة إلى أن الفاكهي – خلال تناوله تاريخ الحرف والصناعات في مكة في العصر الجاهلي– لم يتطرق لصناعات وحرف كانت مكة تُعد فيها مركزاً مهماً من مراكز تلك الصناعات لمكانتها السياسية والاجتماعية علاوة على مكانتها الاقتصادية، ومنها الصناعات الخشبية المختلفة، والأدوات المنزلية، وأدوات البناء، كما لم يشر الفاكهي إلى الصناعات الجلدية التي كانت لها أهميتها في المجتمع المكي، وارتبطت بحرفتي الجزارة والدباغة، كصناعة السروج، والرحل، والتي لا شك في انتشار صناعتها بمكة، التي كانت تعتبر مركزاً مهماً من مراكز التجارة العربية, ومحطة رئيسية من محطات تجهيز القوافل التجارية الخاصة بها أو العابرة لأراضيها، والتي لا يستبعد ازدهار هذه الحرفة، لتوفر نسبة كبيرة من المواد الخام لها في مكة وهي الجلود، كما لم يمدنا الفاكهي بمعلومات عن البنَّائين وطريقة البناء في مكة، وكذلك بالنسبة لحرفة السقَّائين رغم أهميتها في الحياة اليومية لقاطني مكة والقادمين إليها وخاصة في مواسمها الدينية.

إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فإن ما قدمه الفاكهي عن الحرف والصناعات في مكة يعتبر وثيقة مهمة لتاريخ مكة، وهو ما هدف إليه الباحث لتوثيق تاريخ الحرف والصناعات في مكة في العصر الجاهلي ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى إظهار دور المصادر التاريخية العربية الإسلامية في مجال التاريخ القديم، والتعرف على أولئك المؤرخين، والجهد الذي بذلوه (رحمهم الله) في توثيق التاريخ العربي القديم، وبأنها مصادر لا غنى عنها، والاعتماد عليها بعد النقد والتمحيص.

(1) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/ 1985 م، 14/1

(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، المقدمة بقلم عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، 33/1.

3 Tarek.M. Mahammad.,"AL –Fakihi and the Religious Life at pre – Islamic makka , in people from the Desert pre – Islamic Arabs in History and culture , ed. N Aljallad ,Wiesbaden 2012,pp155-184.

مدلول لفظتي الحرفة والصنعة:

وبعد أن استعرضنا أهمية كتاب الفاكهي في تاريخ مكة وقبل الخوض في تفاصيل ما نقله لنا الفاكهي في كتابه عن الحرف والصناعات في مكة في العصر الجاهلي، ينبغي علينا أولاً: التعريف بلفظتي الحرف والصناعات لغة واصطلاحاً.

فالحرفة في اللغة: اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، ويقال: هو يحرف لعياله ويحترف، بمعنى يكتسب من ها هنا وها هنا، [1] وقيل: الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي، أي مُعاملي، [2] وحرفة الرجل صنعته، وحَرَفَ لأهله واحترف، بمعنى كسب أيّاً كان. [3]

والحرفة في الاصطلاح: الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهى جهة الكسب، وكل ما اشتغل به الإنسان فإنه يسمى عند العرب صنعة وحرفة، وقد روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال:" إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ إن قالوا: لا، سقط من عيني"[4] فالحرفة: تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة للكسب، ووسيلة للمعاش.

والصناعة في اللغة: هي حرفة الصانع، وعمله الصنعة[5]: ورجل صنيع اليدين، وصِنْعُ اليدين أي صانع حاذق بعمل اليدين، وامرأة صَناع اليدين، أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين، وامرأتان صناعتان ونسوة صُنع[6] والصناع (جمع صانع): وهم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم[7].

والصناعة بالمعنى الاصطلاحي: عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، مثل الحدادة، والصياغة، وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته[8]، وعماد الصانع على يديه، يستعملها في صنع الأشياء، ويعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى، وهي محور الإنتاج في الحياة الاقتصادية[9].

ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الإنسان، فالحرفة هي" الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب"، والاحتراف هو الاكتساب أيّاً كان[10]، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان وينصرف للكسب، وتشمل التجارة، والزراعة، والسمسرة، والدلالة، والجلاب، والمنادى، والخياطة، والصياغة، والدباغة، والوراقة، والحدادة، **الخ**[11].

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، ومعادن وأخشاب وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والكتان والحرير في

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الله درويش، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة (د.ت)، 5 / 16؛ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، 2 / 839 ؛ علي بن محمد الخزاعي التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1401هـ/1981، صـ 793.

(2) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط2، بيروت، 1402هـ / 1982م، 4 / 1343.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 2 / 839 ؛ الخزاعي، الدلالات، صـ 793.

(4) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازي، الكويت، 1984، 23 / 133، 124 ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، مكتبة النهضة, دار العلم للملايين، بغداد، 1976م، 7/ 505.

(5) الجوهري، الصحاح، 3 / 1245 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 4 / 2508 ؛ الخزاعي، الدلالات، صـ 794 ؛ الزبيدي، العروس، 21 / 364.

(6) الجوهري، الصحاح، 3 /- 1246 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 4 / 2508 ؛ الخزاعي، الدلالات، صـ 794.

(7) الأزهري، التهذيب، 38/4؛ علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، دار الآفاق الجديدة, بيروت، (د.ت)، 3 /-257.

(8) ظاهر خير الله الشويري, الحرفة وتوابعها, مجلة المقتطف, القاهرة، م 19، 1904م، 57-58.

(9) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1402هـ/1981م، صـ 15.

(10) ابن منظور، لسان العرب، 4 / 2508 ؛ الزبيدي، العروس، 23 / 133.

(11) الشويرى، الحرفة، صـ 57.

صناعة المنسوجات، واستغلال المعادن في صناعة الحدادة والصباغة وغيرها، وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم " الحرف الصناعية " وهي بهذا التعريف تدخل في مفهوم الحرفة.

ونجد في مصادر التاريخ الإسلامي ما يؤكد ذلك، فيشير المجيلدي[1] إلى "أهل الحرف والصنائع" ويذكر منهم: الدباغ، والسمسار، والخراز، والصائغ، والخياط، والصفار، والحائك، والنجار، والحداد.

ونجد كذلك إشارات عند السقطي، [2] حين يقول " ضروب الصناع والعمال " وكذلك عند ابن حيان[3] بقوله:" أصحاب الصناعات "، وهي إشارات ربما تشعرنا بعدم وجود فارق بين الحرفة والصناعة.

ومن الأهمية الإشارة إلى ما يتجه إليه بعض الباحثين من جعل الحرف قسمين: حرف إنتاجية، وجعل على رأسهم: التجار والحددين والخرازين والحذائيين والنجارين والخياطين والقواسين والغزالين والصباغين والدباغين وصناع الأواني، وحرف خدمية ومنهم: الجزارون والبناءون والسقاءون والحطابون والحلاقون والحجامون والجمالون والحمارون والمجمرون وصانعو الأطعمة[4].

موقف العرب من الحرف والصناعات قبل البعثة:

كان لدى العرب في العصر الجاهلي بعض الأعراف والعادات التي ساروا عليها، والتي كان لها أثرها الواضح على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية, ومن جملة تلك الأعراف: استهجانهم لبعض الحرف وابتعادهم عنها, فرأوا أنه لا يليق بالعربي الحر الشريف أن يكون حرفياً؛ لأن الحرفة كانت تُعد في نظرهم من شأن العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس, وقد يعود السبب في ذلك الاعتقاد إلى طبيعة العقلية العربية التي ترى فيه امتهاناً لشخصيته, بالإضافة إلى أنه كان يرى في الحرف تقييداً لحريته، وحدّاً من حركته[5]، غير أن هناك بعض الحرف والصناعات كانت تحظى عندهم بقبول، ويمتهنها الكثير منهم، ويعملون فيها كالتجارة وصناعة الغزل والنسيج, والدباغة, والجزارة، والتي تنتشر عند الحاضرة والبادية، دون أدنى احتقار لمن يعمل في ذلك عندهم[6].

وفي المجتمع المكي ومع الازدهار التجاري، ازدهرت صناعات عدة قامت لخدمة النشاط التجاري, وتوفير الاحتياجات اليومية من الصناعات لأهل مكة, مع وفرة المواد الخام الأولية، والأيدي العاملة، علاوة على وجود أسواق داخلية وخارجية لتصريف الإنتاج الصناعي – مركز مكة التجاري وسط الطرق التجارية البرية الهامة التي تربط بين الجنوب والشمال – وعلى الرغم من عزوف كثير من العرب والقرشيين الصناعة وامتهان الحرف، واحتقارهم لمن يشتغل بها، وترك القيام بها لعبيدهم ومواليهم، والمستضعفين من رجالهم والذين ليست لديهم الخبرة الصناعية الكافية[7]، إلا أن المجتمع المكي شهد نشاطاً حرفياً متميزاً ذكرته لنا المصادر التاريخية المختلفة، حيث يلاحظ الباحث أن هذه النظرة لم تكن سائدة في المجتمع المكي كله، بل كانت مقتصرة على المجتمع البدوي– أو الأعرابي – لأن البداوة بحياتها البسيطة، تكون حاجتها للإنتاج الصناعي قليلة[8]، واعتمادها على حرية التنقل والترحال من مكان لآخر سعياً وراء الماء والكلأ، من غير أن يعرف حياة الاستقرار والبناء والإنتاج، وبالتالي فإن عدم توفير الاستقرار لا يساعد بطبيعة الحال على ممارسة الصناعة, كما أن البدو لا يميلون إلى حياة العمران

(1) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الجزائر، 1970م، صـ 83- 93
(2) السقطي، في آداب الحسبة، باعتناء ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955م، صـ 9.
(3) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، (د.ت)، صـ 20، 49.
(4) حول هذا الرأي. انظر:إلهام أحمد البابطين، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي، الرياض، 1419هـ/1998م، ص 173-205.
(5) واضح الصمد, الصناعات, ص 15.
(6) جواد علي, المفصل, 7/ 511.
(7) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1997م، ص 206، واضح الصمد، الصناعات، ص 15.
(8) محمد ياسين الحموي، مختصر تاريخ العرب، دمشق، 1928م، 1/ 131.

والترف والانخراط في تبعاتها وتطوير الصناعة، بل يفضلون ما توارثوه من عادات وتقاليد وتفاخر بشجاعتهم وفروسيتهم حتى على إخوانهم وبني جلدتهم، وخوضهم الصعاب دون خوف أو تردد، والوفاء بالعهود والكرم، واعتبروا كل المشتغلين بالصناعة دونهم مرتبة وشرفاً.

أما المجتمع الحضري والمستقر فلم يَر بأساً في الاشتغال بالصناعة حتى أصبحت جزءاً من حياتهم وكانت أساس اقتصادهم، وإلى هذا أشار ابن خلدون[1] في قوله: "... فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال، ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش..... وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للمتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها، بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة..."

وبذلك نجد أن حياة البدوي لا تحتاج إلى صناعات معقدة، بعكس حياة الحضري التي اتسمت بتطور الحياة وما تحتاجه، وهذا ما كان سائداً في مكة، والتي حظيت بمكانة دينية وسياسية واقتصادية متميزة، كان لها أثرها على سكانها فأقبلوا على امتهان الحرف والصناعات المختلفة، من أجل البناء والتشييد، والأخذ بوسائل الترف، ومستفيدين من مكانتهم بين العرب، وما حققوه من ثروات لتحقيق حياة سعيدة لهم[2].

ومن الجدير بالذكر أن الحرف كانت وراثية في الغالب, يتعلمها الولد عن والده, وتنحصر في الأسرة الواحدة، وتنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء, ومن عادة تلك الأسر الاحتفاظ بسر المهنة، ولا يسمح للغرباء عن الأسرة تعلمها، ولا أن يقف على أسرارها، وبخاصة الحرف المربحة، والتي تحتاج إلى مهارة ودقة وذكاء؛ خوفاً من قيام منافس لأصحاب الحرفة في عملهم، وانتزاع الرزق منهم, لذلك كانوا حريصين على الحفاظ على أسرار حرفتهم, ولا يباح بأسرارها حتى لأقرب الناس من حولهم، وفي حالة اكتشاف الحرفي لطريقة جديدة غير معروفة في حرفته, فإنه يحتفظ بسره حتى لا يتسرب إلى الغرباء, وقد تصل بالبعض إلى درجة عدم فصح سرها حتى لأولاده، إلا في حالة شعوره بالعجز عن العمل، أو بقرب وفاته؛ خشية انتقال سر المهنة منهم إلى غيرهم, فينتزعون منهم مصدر قوتهم، وينازعونهم مصدر رزقهم من جراء ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض أصحاب الحرفة الواحدة، كانوا يقومون بتجميع بعضهم مكونين جماعة أو طبقة خاصة بصنف الحرفة التي يمتهنونها، ويتعاونون في ما بينهم، تعاون النقابات الحرفية والمهنية في الوقت الحاضر, ويتولى رئاستهم أبرز رجال(الحرفة)، وسط أماكن معينة (أسواق)، [3] خاصة بهم، وتعرف بحرفتهم, كسوق الحدادين, أو سوق النجارين.

(1) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت)، ص400- 401.

(2) أورد القرآن الكريم إشارات في آيات مكية ومدنية على مسميات كثيرة ومتنوعة من وسائل المعيشة التي استخدمها أهل المدن، وهي ما تعني أن أهل مكة، عرفوها وتعاملوا بها، لأن القرآن لا يمكن أن يخاطب الناس بما لا يعرفونه أو لايفهمونه، ولاشك أن مسميات هذه الأشياء لا يمكن جعلها ممّا عرفته قريش واستوردتها عبر خطوطها التجارية، بل إن معظمها كانت تصنع في مكة، بمعرفة طبقة من الحرفيين والصناع الذين كانوا يعملون في حرف مختلفة وكان لهم إنتاجهم وتأثيرهم الحضاري والاجتماعي على المجتمع المكي، كما نقلت لنا ذلك المصادر التاريخية وخاصة التاريخ العربي القديم، والتي ترجع إلى ما قبيل البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي التسليم. انظر: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، (د.ت)، صـ 240-242.

(3) السوق: موضع البيت والبضائع، تذكر وتؤنث، والجمع أسواق، وتسوَّق القوم: أي باعوا واشتروا، وسمي السوق بهذا الاسم؛ لأن البضائع تجلب إليه، وتساق المبيعات، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أسواق مكة في الجاهلية استمرت في تأدية وظائفها في الإسلام لبعض الوقت، كما في سوق الحزورة. انظر: محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، 1399هـ/1979م، 2/ 294 ؛ ابن منظور، لسان العرب، 3/3 ؛ البابطين، الحياة الاجتماعية، صـ 155.

أشهر الحرف والصناعات في مكة:

التجارة

لا شك أن مجد قريش التجاري ازدهر منذ عهد هاشم بن عبد مناف، وكانت في السابق مقصورة على الأجانب القادمين لمكة من مختلف المناطق، حيث كانوا يعرضون بضائعهم على أهل مكة، ويتداولونها بينهم، ومع من حولهم من العرب، أما في عهد هاشم بن عبد مناف، فقد خرجت تجارة مكة إلى المجال الخارجي، وجاب القرشيون في عهد هاشم معظم الأراضي داخل وخارج الجزيرة العربية، حيث عرف القرشيون الإيلاف (العهود التجارية)، فعقد هاشم بن عبد مناف حلفاً مع الروم، والمطلب بن عبد مناف مع اليمن، وعبد شمس بن عبد مناف مع الحبشة، نوفل بن عبد مناف مع الفرس، من أجل تيسير القوافل التجارية القرشية في ذهابها وعودتها في أمن وأمان لا يصيبها مكروه، وهي المنة العظيمة التي وصف الله بها قريش[1]، قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[2].

وهكذا ظهرت حرفة التجارة، والتي تُعد من أهم الحرف الاقتصادية لسكان مكة قبل البعثة، حيث ارتبط هؤلاء الأفراد بالعمل في النشاط التجاري، والكسب منه بشكل أو بآخر، والتي كانت تقوم في أغلب الأحيان بشكل جماعي يشترك فيه الأغنياء، ومتوسطو الحال، وحتى الفقراء[3]، ولم يقتصر الأمر عند ذلك بل شاركوا صبيانهم ونساءهم فيها، كما يظهر لنا ذلك من حجم تجارة القوافل أو التجارة الخارجية لمكة وعدد القائمين عليها، أو المنتفعين منها، فكان التجار يخرجون بأولادهم للاستعانة بهم وتدريبهم على تحمل المشاق، وممارسة أعمال التجارة، وقد أشارت كتب السيرة إلى خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو صبي مع عمه أبي طالب في التجارة إلى الشام[4]، كما أن تراجم بعض الصحابة (رضي الله عنهم) مثل عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن أبي بكر، تكشف أنهم رافقوا القوافل التجارية وهم صغار السن، [5] والتي يتراوح عدد رجالها وفقاً لحجمها ما بين ثلاثين وأربعين رجلاً[6]، وقيل ثلاثمائة[7]، وهم لفيف من التجار والأدلاء، والرجال القائمين على حراسة القافلة، وكذلك المساعدين الذين يعنون بالدواب، وتحميل البضائع، وتنزيلها، وإعداد الطعام، وعادة ما يكون أولئك من الأجراء والعبيد، بينما يتراوح عدد الإبل ما بين ألف إلى ألفين وخمسمائة بعير تقريبا، وقدَّر ثمن البضائع التي كانت تحملها قافلة أبي سفيان في يوم بدر، بحوالي خمسين ألف دينار، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى ما كانت عليه حجم التجارة القرشية قبيل البعثة[8].

ومع قدوم القافلة تتم الفعاليات التجارية الرئيسية في أسواق مكة المختلفة، والتي من أهمها سوق الحزورة[9]، والذي يقع بجوار المسجد الحرام من الناحية الجنوبية عند فناء دار أم هانئ بنت أبي طالب (رضي الله عنها)[1]، كما كانت هناك دار في

(1) محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، اعتنت بتصحيحه أيلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص163؛ سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط 2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/1993م، صـ 100؛ م. ج. كستر، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، دار الحرية، بغداد، 1396هـ/ 1976م، صـ 44؛ صالح موسي درادكة، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين للنشر والتوزيع، عمان، 1408هـ/1988م، ص 56.

(2) سورة قريش، آية: 1-4.

(3) لقد استطاعت قريش أن تسير قوافل تجارية كبيرة الحجم كثيرة الإبل يشارك فيها كل المكيين غنيهم وفقيرهم سادة وعبيد. انظر: فكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، صـ254.

(4) محمد بن مسلم الزهري، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1401هـ/ 1981م، ص 40؛ عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د,ت)، 1/ 180؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1979م، 2/ 277.

(5) ابن هشام، السيرة، 4/ 431.

(6) ابن هشام، السيرة، 2/ 606.

(7) الطبري، الرسل والملوك، 2/ 404 – 405.

(8) عواطف أديب علي سلامة، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، دار المريخ للنشر، الرياض، 1414/1994، ص217.

(9) أحد أشهر أسواق مكة القديمة، حيث كانت قريش تجتمع فيه للبيع والشراء، وقد دخلت في توسعات المسجد الحرام على الصحيح، وكانت في فناء دار أم هانئ بنت أبي طالب (رضي الله عنها)، وهي في موضع السوق الصغير حديثاً. انظر: الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/206-207 تعليق المحقق بن دهيش؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/294.

مؤخرة دار الندوة، يقال لها دار الحنطة[2]، وكانت تحط عندها العير المحملة بالحنطة، والقادمة من بلاد الشام، ومنها العير الخاصة بأحد تجار مكة وهو حكيم بن حزام[3]، كما يشير الفاكهي إلى أن هناك مواقع أخرى (أسواق) تحط فيها قوافل الحنطة بقوله: "... وكانت العير إذا قدمت مكة تحمل الحبوب والحنطة وإنما تحط بين الدارين – دار أبي سفيان، ودار حنظلة بن أبي سفيان – وبينهما رحبة تناخ فيها الإبل..."[4].

كما كان لقريش موقع آخر تجتمع فيه في انتظار قوافلها التجارية وخاصة القادمة من اليمن[5]، يقال له: سامي المنظر[6]، إضافة إلى دار صفوان بن أمية الجمعي بأسفل مكة التي كانت تسمى دار مصر, وهي متخصصة للتجارة القادمة من مصر، حيث كانت تستقبل فيها البضائع المصرية التي تحملها القوافل من مصر وتعرض في تلك الدار، حيث يقدم أهل مكة إليها لشراء ما يحتاجون منها، والتي لا تتجاوز تجارته إلى غير مصر، فتنسب الدار إلى ما كان يباع فيها من بضائع مستوردة من مصر[7]، ويواصل الفاكهي وصف أسواق مكة، وما كان يمارس فيها من بيع وشراء فيذكر اسم سوق: بأصل جبل خليفة سوق في الجاهلية، كان يقال له: الكثيب أسفل من جبل خليفة، على حده موقف البقر[8] ويوصفه بـ"... من أعمر فج بمكة، وأكثره أهلاً وصانعاً..."[9] وهو سوق لا يبعد كثيراً عن سوق الحزورة[10].

وقد تنوعت أنشطة التجار المكيين التجارية، وتفردت كل طائفة منهم بنوع خاص من التجارة، فمنهم من كان متخصصاً في بيع البز[11]، كأبي بكر بن أبي قحافة التميمي، وعثمان بن عفان الأموي، وطلحة بن عبيد الله التميمي، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، والحارث بن عبد المطلب بن هاشم (رضي الله عنهم). وممن اشتهروا أيضا ببيع الحنطة من قريش العوام بن خويلد الأسدي، وربما جمع التاجر بين نشاطين فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يبيع البز بالشام ويشتري الدقيق[12]، وكان حكيم بن حزام يبيع القمح والدقيق[13]، وممن امتهن أيضا صنعتين معا أبو طالب بن عبد المطلب، حيث كان يجمع بين البزازة والعطارة ويقال عنه: إنه كان يبيع البز في أول النهار، ويبيع العطارة آخر النهار، ومن الذين اشتهروا بحرفة العطارة أيضا نصر بن الحارث، وسمرة بن جندب[14].

ويبدو أن البضائع المتوفرة في أسواق مكة كانت كثيرة جداً، مما يعكس حجم تجارة مكة، وأعداد التجار القائمين عليها، من الرجال، وبعض النساء اللاتي كُن يمتهنّ هذه الحرفة وهذا النشاط، وجاء ذلك نادراً في سياق أخبارهن، من أمثال السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، حيث كانت تمارس التجارة في سوق الحزورة[15]، وسيدة أخرى يقال لها أم أنمار القارية،

(1) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ ص 206، الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 294، الطبري، الرسل والملوك، 2/ 248.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 312.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 264.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 288.
(5) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 195.
(6) يرى بن دهيش: أن موضع سامي المنظر هو الجبل الذي يقع جنوب بطحاء قريش، يشرف في مصانع زمزم للمكيفات والثلج، ويمتد غرباً حتى اللجبة، وهو قرن صغير يقال له اليوم (بريق المنظر) يتوسط مخطط الخياط على يمين الداخل إلى مكة من طريق الليث الجديدة، قبل أن تصل إلى حلقة الخضار (سوق الخضار) بحوالي 500 م وقد بدأ صاحب المخطط بتكسيره وإزالته. انظر: الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4 / 195، هامش 3.
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 342 ؛ 210/4 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 263.
(8) جبل خليفة، هو المشهور بـ (جبل أجياد) لقلعة بنيت فوقه، ويقابل اليوم باب الملك عبد العزيز من أبواب الحرم الشريف، وهو الجبل الذي صعد فيه المشركون يوم فتح مكة ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. انظر: الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 191/4، هامش (3).
(9) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 191 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 291.
(10) الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 291.
(11) البز: نوع من الثياب، والبزاز حرفته بيع الثياب. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط3، 1405هـ، 56/1.
(12) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، كتاب مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي، دراسة وتحقيق جاسم ياسين الدرويش وسليمة كاظم حسين، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2015م، صـ 88.
(13) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 264.
(14) ابن الكلبي، مثالب العرب، صـ 88-89.
(15) ابن هشام، السيرة، 1/ 188.

والتي كانت (برزة) من النساء – تظهر بين الرجال –[1] وتمارس التجارة بمكة وتبيع وتشتري في فناء دارها[2]، كما كانت هناك عبلة بنت عبيد بن خالد بن حنظلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف، وكذلك زوجة رباح بن الأمثل، وكانتا تبيعان الأقمشة والعطور[3].

وعلى ما يبدو أن حرفة التجارة لم تقتصر على طبقة السادة من أهل مكة، فقد كان هناك الكثير من العبيد والخدم، الذين كانوا يقومون بحرفة التجارة لحساب أسيادهم في أسواق مكة، ومن هؤلاء شخص يعرف بجبر، وقد كان عبداً نصرانياً لبني الحضرمي، وكانت له مبيعة (بسطة) خاصة في أسوق مكة[4].

الصرافة

لقد كان لحركة التجارة الداخلية ونشاطها في أسواق مكة، أثرها على ظهور حرفة الصرافة، حتي أصبح للصيارفة أسواق خاصة بهم[5]، ولعل ظاهرة وجودهم في أسواق خاصة بهم، يعكس مدى حجم التجارة والعاملين فيها في مكة، فقد كانت لهم حوانيت في أجياد الصغير تنسب لآل خوان[6]، كما كان الصرافون يبيعون الذهب بالفضة أو العكس[7]، وقد اكتسب أصحاب هذه الحرفة شهرة كبيرة بين أهل مكة فكان الناس يودعون أموالهم لديهم مقابل صكوك يحصلون عليها من الصراف، أو ضامن (كفيل) يقول ابن حبيب" إن صرافاً قام للناس بتسعة آلاف دينار فلزمه غرماؤه، فسألهم أن يفسره حتى يضطرب ويقتضى ديوانه. فقالوا: لا نرضى منك بكفيل دون أن يضمنك عبيد الله بن العباس "فأتوا عبيد الله بن العباس فدفعوا له صكوكهم فقضى عنه ماله[8]، وهكذا عرف أهل مكة التعامل بالصكوك في العديد من معاملاتهم التجارية والمالية قبل البعثة[9]، وللأسف لم تمدنا المصادر بأسماء الصرافين وجنسياتهم[10]، إلا أن من الغالب قياساً أنهم من اليهود والنصارى القاطنين في مكة.

كما عرف أهل مكة حرفاً أخرى متنوعة ذكرها الفاكهي من خلال كتابه لا تقل شهرة عن حرفتي التجارة والصرافة الأبرز في حياة أهل مكة، ومنها الحدادة، والصياغة، والنجارة، والجزارة، والدباغة، والخرازة، والنسج والخياطة، وصناعة الأقواس، وبيع الطعام في الأسواق، وكذلك العمل في البناء أيضاً، حيث قامت تلك الصناعات في مكة على المواد الخام المتوفرة لديهم، أو المستوردة من المناطق المجاورة، مثل الطائف واليمن وغيرها[11].

وقد كان بعض أصحاب الحرف الإنتاجية يقومون ببيعها بأنفسهم، أو من خلال وسطاء يتجرون بها، حيث تكون حوانيتهم مجاورة لأصحاب الحرفة، أو في الأسواق العامة والموسمية التي كانت تشهدها مكة.

(1) برزة: المرأة التي تركت الحجاب وجالست الناس وهو ما اشتهرت به أم أنمار حيث كانت قريش تجتمع في فناء دارها يتحدثون في أمورهم التجارية. انظر الأزرقي، أخبار مكة، 256/2 ؛ المعجم الوسيط، 50/1.

(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 317.

(3) ناصر بن سعد الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطه وموقعه، دار الأنصار، القاهرة، 1397هـ/1977م، ص162.

(4) ابن هشام، السيرة، 1/ 393.

(5) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 180، 208، 3/ 322، 326، 327، 329، 4/ 226.

(6) الأزرقي، أخبار مكة، 3/ 316.

(7) البابطين، الحياة الاجتماعية، صـ 157. يصف لامنس أن التعاملات المالية والتجارية المتنوعة التي كانت سائدة في مكة أشبه بمصرف كبير يحقق أرباحاً عظيمة خاصة من التعاملات الربوية. انظر: Lammens,H., La Macque, Bcyrouth,1924,p.305.

(8) ابن حبيب، المحبر، صـ 146.

(9) محمد كرد على، رسائل البلغاء، مطبعة الحلبي، مصر، 1963م، 29.

(10) فرضت قريش الإتاوات على التجار الأجانب من غير العرب، والذين لا يرتبطون معها بحلف، كضريبة العشور التي أخذتها من التجار الروم عند دخولهم مكة، وعرفوا نظام كتابة الصكوك، على الرغم من أن القليل من أهل مكة قد عرفوا الكتابة والحساب نظراً لاشتغالهم بالتجارة، واستخدموا نوعاً من الصكوك خاصة بالمسافرين والتي يمنحها الملوك وسادات القبائل مختومة بخاتم الحاكم أو شيخ القبيلة أو نقشه، إضافة لفرضهم المكوس على القوافل المارة بأراضيهم، كما عرفوا نظام الأمانات والودائع، والمقاييس والمكاييل والموازين، واستخدموا الميزان ذا الكفتين، وكالوا بالمد والصاع والرطل والأوقية والنش(يساوي نصف أوقية). انظر: سيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م، ص 359-365 ؛ عواطف أديب، قريش، ص235.

(11) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1328هـ، 286/4.

الحدادة

لقد اشتهرت في مكة حرفة الحدادة، لخدمة أهل مكة وتجارها، وعرف القائم عليها بالحداد أو القين، الذي يقوم بتشكيل الحديد للاستفادة منه في الحياة اليومية لأهل مكة، حيث كثرتْ حوانيت الحدادين بمكة[1]، وكما كان لهم أسواق خاصة بهم، يجتمعون فيها وتعرف باسمهم[2]، ويسمى سوقهم بسوق الحدادين(زقاق الحدادين)[3]، ومن أشهرها السوق الواقعة عند سوق الليل قرب زقاق الحذاءين[4].

ومن الذين اشتهروا بهذه الصنعة العاص بن هشام، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف الذي كان يصنع البرم[5]، وقد استعان أهل مكة بالخبرات الأجنبية للقيام بصهر خام الحديد، واستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به، فإذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة العالقة به، عولج معالجة خاصة لتنقيته، ولجعله هشاً قابلاً للكسر والثلم بسهولة، وقد تكرر العملية لأكثر مرة، لكي يصبح نقياً صافياً، وخاصة في صناعة السيوف الجيدة[6]، وكانوا يجلبون المواد الأولية من المواقع القريبة من مكة وخاصة تلك الواقعة في بني سليم[7].

وقد تنوعت الصناعات المعدنية لأهل مكة وشملت أصنافاً كثيرة، كالأسلحة بمختلف أنواعها، كما شملت صناعات حديدية متنوعة، كصناعة اللجام، والشكيمة، والحكمة، وهي الحديدة التي تكون على أنف الفرس على شكل دائرة وتمنعه عند الشد من مخالفة راكبه، كما صنعت الحدوة[8]، وقد حظيت صناعة السلاح بأهمية كبري لدى أهل مكة، حيث كانت مكة المكرمة تُعدّ واحدة من أهم مراكز صناعة الأسلحة في الحجاز[9] خاصة وعند العرب عامة، ويرجع ذلك لكثرة أسفارهم، واحتياجهم للسلاح للدفاع عن قوافلهم وأموالهم وأعراضهم وكذلك ممارسة مهنة الصيد، فكان لا غنى عنه، لذلك حرص أهل مكة على الحصول عليه سواء عن طريق الاستيراد أو صناعته محلياً[10] إضافة إلى صناعة الدروع[11].

كما عرفت مكة صناعات حديدية مختصة بأدوات الطعام والشراب، والأدوات المنزلية، حيث كان يصنع منه العديد من الأدوات مثل: الإجانة: وهو إناء كبير يصنع من الحديد غالباً ويستعمل في حفظ السوائل[12]، كما كانت تصنع الأجفان، وهي أوانٍ تستعمل في عمل الأكل أو حفظه[13]، إضافة إلى الأباريق والأطباق والسكاكين، ومقابض الأواني والأقداح[14]، والقدور النحاسية[15] وأدوات كسر الحجارة[16] وأدوات النجارة[17] والمعاول[18] والدلاء[1]، كما يذكر الفاكهي[2] اسم شخص كان يقوم بإصلاح ضبة الباب، ولا يستبعد الباحث أن يكون حداداً احترف صناعة أقفال البيبان وما شابهه.

(1) جواد علي، المفصل، 7/ 516.
(2) جواد علي، المفصل، 7 / 556، ابن حزم، أنساب، صـ 191.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 289، 288؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 250 ؛ الزبير بن بكار، جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمود شاكر، ط1، بيروت، (د.ت)، ص 372.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 288، 318.
(5) ابن قتيبة، المعارف، صـ 575.
(6) جواد علي، المفصل، 7/ 568.
(7) الحسن بن أحمد الهمداني، كتاب الجوهرتين، تحقيق حمد الجاسر، ط1، الرياض، 1408هـ / 1987م، ص 245، 391.
(8) ابن منظور، لسان العرب مادة لجام، الشكيمة، والحكمة، الحدوة.
(9) لاشك في أن مكة كان لها دورها في صناعة السلاح لكثرة أسواق الحدادة بها. انظر: حسين مرؤة، النزعات المادية في الفلسفة العربية والإسلامية، ط2، دار الفارابي، بيروت، 1997م، 197/1.
(10) واضح الصمد، الحرف، 124- 125.
(11) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 252.
(12) جواد علي، المفصل، 7/ 559 -560.
(13) لقد كان لعبد الله بن جدعان، جفنة يأكل منها القائم والراكب، ومن كبر حجمها أن صبياً وقع فيها فغرق. انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م، 3/ 268.
(14) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 280.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 287.
(16) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 242
(17) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 277، 283.
(18) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 16.

الصياغة

عرف أهل مكة إلى جانب حرفة الحدادة حرفة الصياغة، من الذهب والفضة والذي كان يجلب إليها من نجد[3]، إضافة إلى مناجم الذهب والفضة القريبة من مكة مثل:(منجم ذهب المويلح، جنوب شرق مكة[4] ومنطقة مهد الذهب الواقعة جنوب يثرب)[5]، وصنعوا القلائد والأساور والخلاخل وغيرها، كما جاء في الفاكهي[6] عن استعمال عبد المطلب الذهب لكسوة باب الكعبة بقوله: "... فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة فضربهما عبد المطلب في باب الكعبة.... " فكان أول ذهب حليته الكعبة، كما يمكننا أن نستنتج من ذكر الفاكهي لشخص يدعى إبراهيم الصائغ، أنه كان يعمل في حرفة الصياغة[7]، كما استعمل الذهب لعمل طوق حول الحجر الأسود[8].

النجارة

النجر نحت الخشبة، نجرها ينجرها نجرا نحتها[9]، ولم تكن هذه الحرفة أو الصنعة أقل أهمية من الصناعات الأخرى في مكة، حيث تقدمت وتطورت نظراً لزيادة أهميتها عند المكيين؛ نتيجة لتطور الأوضاع الاقتصادية والحضرية في مكة، وزيادة الطلب عليها. والنجارة من الحرف الضرورية للإنسان بمختلف فئاتهم سواء من أبناء المدن، أو من أبناء البادية, وقد امتهنها بعض أهل مكة, وتُعد حرفة مكملة لحرفة البناء[10]، فلا يكاد يتم البناء إلا بها، حيث تعتمد الكثير من أعمال البناء على الخشب لعمل أسقف المنازل والأبواب والنوافذ وغيرها، ويكون لزاما وجود محترف متخصص للقيام بأعمال النجارة ويعرف القائم عليها بالنجار. وقد استعان أهل مكة بنجار[11] للاستفادة من أخشاب سفينة رومية غرقت في ميناء مكة المكرمة الشعيبة على البحر الأحمر, وذلك لعمل سقف الكعبة[12]، وباب لها من الخشب وكذلك لعمل أبواب دورهم[13]، إضافة إلى صناعة الصناديق الخشبية لحفظ حاجياتهم، حيث يشير الفاكهي إلى وجودها في مكة "... وجدت في منزل ابن الزبير صندوقاً عليه سبعة أقفال..."، إضافة إلى ما كانوا يقومون به من أعمال أخرى واشتهروا بها، مثل صناعة القصاع, والصحاف, والجفان, وهى أوان خشبية يجعل فيها الثريد وغيره من أنواع الطعام[14]، وكذلك صناعة الأقواس، والذين عرفهم الفاكهي: بأصحاب الشوحط بقوله: "... أصحاب الشوحط – القواسون"[15]، ولقد كان يجلب الخشب لصناعة تلك الأواني من أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية، وخاصة من جبال السراة، القريبة من مكة[16]، ومن شجر السدر، والجوز، والشوحط، والقرظ، والطلح..."[1] وقد عرف

---

(1) جمع (دلو) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 52، 54.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 347.
(3) الهمداني، الجوهرتين، صـ 89.
(4) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص 396. تشير الروايات التاريخية إلى وجود مناجم ذهب في مكة المكرمة وكان القرشيون يعملون فيها ويتاجرون في الذهب الخام. ولمزيد حول هذا الموضوع انظر المناقشات التي وضعتها باتريشيا كرون، وتعليقات آمال الروبي. انظر: باتريشيا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، ط1، ترجمة ودراسة آمال الروبي، مراجعة وتقديم محمد إبراهيم بكر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص 168-196.
(5) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص 369. ويؤكد ذلك ما عثرت عليه شركة التعدين السعودية في أحد مناجم الذهب شمال يثرب، حيث عثر على أدوات ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام كانت تستخدم في استخراج الذهب منه. انظر: جواد علي، المفصل، 7/ 516.
(6) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 20.
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 458.
(8) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 477.
(9) ابن منظور، اللسان، 193/5
(10) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 277/3، 283.
(11) هناك اختلاف حول شخصية النجار الذي تم الاستعانة به هل هو من العرب أم من قبط مصر، حيث كانت السفينة أو المركب الغارقة قادمة من أحد الموانى المصرية، وكانت العادة تقتضي وجود نجار على كل مركب حتى يتمكن من صيانتها وإصلاح أي عطل يصيبها في عرض البحر، والرأي السائد أن ذلك النجار كان قبطياً. انظر: Tarek.M. Mahammad.,"AL –Fakihi ,pp.161-163.
(12) ابن هشام، السيرة النبوية, 1 /193.
(13) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 188.
(14) ابن منظور, لسان العرب, 645/1.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 318.
(16) جواد علي, المفصل, 7/ 548.

أهل مكة صناعات خشبية أخرى لم يذكرها الفاكهي –تشمل أدوات منزلية، وأدوات بناء– إلا إشارات حول استعمال أهل مكة الخشب في بناء دورهم كما في قوله: "... مر عمر بن الخطاب بأبي سفيان وهو يبني بيتاً له وقد طرح خشباً..."[2]، حيث يعتبر الخشب عنصراً مهماً من عناصر البناء، ولا يتم البناء إلا به[3]، وصناعة الكراسي، والتي كان أمرها شائعاً بين الناس، إضافة إلى المطارق الخشبية لسهولة حملها لدق أوتاد الخيام وتثبيتها في الأرض[4].

كما صنع أهل مكة بعض أصنامهم من الخشب، فقد كان لهند بنت عتبة صنمٌ في بيتها مصنوع من الخشب، فلما أسلمت كسرته وهي تقول: كنا منك في غرور[5].

كما وجد داخل الكعبة تمثال لحمامة مصنوع من الخشب[6]، وعلى ما يبدو فقد بلغت هذه الحرفة درجة عالية من الدقة والإتقان لدى أهل مكة، لا سيما المنحوتات الخشبية وخاصة تلك المصنوعة لغرض ديني، والتي منها صناعة التماثيل المجسمة المتخذة للعبادة. ومن الجدير بالذكر أن أهل مكة عرفوا حرفة (التطعيم)، أي إدخال المعادن في الخشب، وخاصة الذهب، فقد كان باب الكعبة مصنوعاً من الخشب المطعم بالذهب[7].

ومن أشهر من امتهن حرفة النجارة في مكة عروة بن الزبير، الذي كان يقطع نبات السدر بمكة ويصنع منه أبواباً للبيوت[8]، وعتبة بن أبي وقاص[9]، بالإضافة إلى عدد كبير من العبيد والموالي أمثال، أبي رافع، مولى العباس بن عبد المطلب[10]، وقد كان لهؤلاء النجارين سوق خاص بهم أو زقاق خاص بهم يعرف بـ"سوق النجارين"[11].

الجزارة

لا شك أن اشتهار حرفة الرعي في مكة، يرجع إلى طبيعة مكة ومواردها الطبيعية من خلال الأودية المنتشرة حولها التي تساعد على قيام هذه الحرفة، كما كان للمواسم الدينية في مكة، وما صحب بعض شعائرها من وجوب الذبح، أثره في ارتفاع أعداد الحيوانات التي تسرح في أوديتها، ذلك بالإضافة إلى التي يجلبها القادمون لمكة في مواسمها الدينية، حيث أدى كل ذلك إلى ظهور حرفة الجزارة في مكة بشكل كبير، لكثرة ما يذبح في مكة في مواسمها أو على مدار العام، حيث امتهن كثير من أهل مكة هذه الحرفة، وكان له أثره على المجتمع المكي من حيث الاستفادة من لحومها وألبانها ووبرها وجلودها علاوة على دورها كوسيلة نقل. بالإضافة إلى حرفة الجزارة، فقد قامت على منتجات هذه الحيوانات حرف وصناعات أخرى. ومن الذين اشتهروا بهذه الحرفة، الزبير بن العوام، وعمرو بن العاص, وعامر بن كرز, والوليد بن المغيرة[12]، وكان أهله جزارين[13]، وإن تعذر أن يقوم الذابحون المذكورون سابقاً بعملهم، فيقوم مكانهم الأرقاء والموالي، الذين كانت تعج بهم مكة, فكانوا يذبحون لسادتهم. ويبدو أن عدد الجزارين كان كثيرا، حيث يشير الفاكهي في كتابه لأكثر من موقع وجد فيه الجزارون[14]، كما أورد الفاكهي[15] خبراً يشير إلى قيام فتنة أشعلها الجزارون في مكة، إلى جانب الخياطين، يمكن أن نستنتج منها كثرة الحرفيين الذين

(1) الصمد، الحرف، صـ 27-30.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 366.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 399.
(4) الشريف، مكة، ص 376.
(5) جواد علي، المفصل، 7/ 551.
(6) الأزرقي، أخبار مكة، 1/ 123؛ الطبري، الرسل والملوك، 2/ 39 – 40.
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 229.
(8) ابن قتيبة، المعارف، 576.
(9) ابن قتيبة، المعارف، 576.
(10) ابن هشام، السيرة، 2/ 627.
(11) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 277، 283.
(12) ابن قتيبة, المعارف, صـ575 ؛ أحمد بن عمر بن رسته, الأعلاق النفيسة, دار صادر، بيروت، طبعة بريل، ليدن، 1891، صـ215.
(13) ابن رسته, الأعلاق النفيسة, صـ215.
(14) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 207/2 , 274/3 , 288 , 290 , 317، 5/ 55-.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 280/3.

كانوا يعملون في هذه المهنة بمكة المكرمة في العصر الجاهلي. حيث كانوا يقومون بذبح ما يأتي إليهم من أهل مكة، فانتشرت أسواق خاصة لبيع المواشي، مثل "سوق الغنم القديم"[1]، و"سوق الإبل" ويباع ذلك وقت الظهر[2]، و"سوق البقر" والذي يقال له أحياناً "موقف البقر"[3]، وللانتقال بين هذه الأسواق وجد سوق للحمارين، (لأصحاب الحمر)[4].

وعلى ما يبدو فلقد لعبت المواسم الدينية في مكة دوراً بارزاً في انتشار هذه الحرفة لكثرة ما يذبح من البهائم، مع أداء المناسك الدينية كموسم الحج، وخاصة تلك التي تذبح في يوم النحر، الذي يُعد الذبح فيه من شعائر الحج في العصر الجاهلي، واستمر في عصر الإسلام[5].

الدباغة

الدباغ دبغ فلان إهابه يدبغه ويدبغه دبغاً ودباغاً، وتقول العرب: دبغت الجلد فاندبغ[6] والإهاب بما يدبغ به. والإهاب الجلد من البقر والغنم والوحش، ما لم يدبغ[7]، ويسمى صاحب هذه الصنعة دبَّاغاً[8]، حيث يحصل الدباغون على الجلود من الجزارين, ليبدأوا عملهم بتنظيف ذلك الجلد من الشعر أو الصوف باستخدام مواد مساعدة مثل النورة[9] ثم تأتي بعدها مرحلة الدبغ باستخدام مواد خاصة بدباغة الجلد، مثل ورق وثمر شجرة السلمة، الذي يسمى ورقها القرظ[10] ونباتات أخرى مختلفة, بالإضافة إلى مواد أخرى مثل الملح، والتمر، والرمان، للمحافظة على طراوة الجلد، وأكثر هذه المواد مصدرها بلاد العرب[11]، فقد كانت الجلود أو الأدم من أهم السلع التي يتاجر بها أهل مكة، مع مختلف البلدان كالشام والحبشة، يقول ابن هشام عن ذلك: "... وكان أعجب ما يأتيه – أي إلى الحبشة – منها الأدم..."[12]، وأكثر الأدم يكون مصدره مكة؛ نظراً لكثرة ما يذبح بها في موسم الحج (يوم النحر)، الذي يساهم بشكل كبير في توفير الجلود, بالإضافة إلى ما تستورده مكة من الطائف واليمن[13].

ويشير الفاكهي إلى وجود سوق خاص بـ " الأدم"[14]، في مكة في العصر الأموي، ولا يستبعد أن يكون قائماً منذ قبل البعثة، وأيضا دار للدباغين. [15]

الخرازون والحذاؤون

تتبع عملية الدبغ حرف وصناعات تقوم بعد الدباغة، ومنها الخرازة، فبعد الانتهاء من دبغ الجلود تأتي مرحلة التصنيع، حيث يتم خياطة الجلود وتفصيلها، ويطلق على من يقوم بهذه الحرفة (خرَّاز)، وتُعد حرفة ضرورية في حياة أهل مكة، حيث كان يقوم بها البعض بأنفسهم لسد حاجتهم، وهي صنعة أو حرفة تحتاج إلى حذق وصبر وأناة، وقد أشار الفاكهي[16] إلى وجود حرفيين متخصصين يقومون بها، ويتكسبون منها، وتكون مصدر رزقٍ لهم، لذلك وجد الكثير من حوانيت الأدم في مكة.

(1) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 284، 4 / 137 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 244.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 289.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 130، 191؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 266.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 279، 299 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 2/ 249.
(5) عواطف أديب، قريش، صـ 174
(6) الجوهري، الصحاح، 4/ 1318.
(7) ابن منظور، لسان العرب، 217/1.
(8) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 342.
(9) المعجم الوسيط, 971/2.
(10) ابن منظور, لسان العرب , 3/ 2082 ؛ جواد علي, المفصل, 80/7.
(11) ابن رسته, الأعلاق النفيسة، صـ111 ؛ جواد علي, المفصل، 66/7 – 70.
(12) ابن هشام، السيرة، 334/1 ؛ الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 317، 332؛ الحسن بن الحائك أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م، ص 233.
(13) ياقوت الحموي, معجم البلدان, دار صادر، بيروت، (د ت)، 4/-9
(14) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 317 , 332.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 342.
(16) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 209، 3/ 281، 313، 316.

وممن مارس هذه الحرفة أبو سفيان بن حرب الذي كان يبيع الأدم، وأيوب السختيان– نسبة إلى جلد الماعز إذا دبغ – الذي كان يبيع هذا الجلد وإليه ينسب[1]، وأيضا سعد بن عائد، مولى عمار بن ياسر كان يتاجر في نبات القرظ المستعمل في دبغ الجلود حتى عرف بسعد القراظ[2]، كما مارس هذه الصنعة بعض النساء مثل أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنهما)[3].

كما دفعت حرفة الدباغة إلى قيام صناعات وحرف أخرى مرتبطة بها، ومنها صناعة المشغولات الجلدية، وخاصة الحذائين، وهي حرفة عرفها أهل مكة منذ زمن مبكر، وقد وردت لها إشارات كثيرة عند الفاكهي فأشار إلى وجود أسواق خاصة بهم وتعرف بـ"زقاق الحذائين"[4]، وهو موقع يجتمع فيه صانعو الأحذية والخرازون[5]، وكل من يشتغل بخرازة النعل والخف[6]، وربما شمل أيضا معظم الصناعات الجلدية المختلفة كخرازة اللبود والقرب[7]، التي ينقل فيها الماء من مكان إلى آخر, والتي عرفتها مكة منذ فترة تاريخية مبكرة، كأوعية لحمل وحفظ الماء أو غيره من السوائل في الحل والسفر, وتميزت بالمرونة، والليونة وخفة الوزن, والقدرة على حفظ السوائل[8]، وكذلك صناعة الدلاء، وهو الوعاء الذي يستخرج به الماء من البئر بواسطة الحبال أو غيرها[9].

وكذلك ارتبطت حرفة الجزارة والدباغة بحرفة أخرى وتعرف بصناعة أوتار الأقواس، وهي من الحرف المهمة التي ارتبطت بحرفة الجزارة والدباغة، حيث استفاد بعض الدباغين من بقايا حواشي الحيوانات، كـ (المصارين)، في جملة الحرف التي كانوا يقومون بها بعد الدباغة, فكانوا يقومون بجمع ما يحصلون عليه من المصارين، وتنظيفها مما علق بها من أوساخ, ثم يبيعونها إلى التجار، أو يحولونها إلى مواد نافعة مفيدة, يستفيد منها أصحاب حرفة القواسين، الذين يصنعون منها أوتارا لأقواس رمي السهام، والتي لعبت دوراً بارزاً في حروب العرب القديمة[10]، نظراً لقابليتها الكبيرة على للشد والوتر, – اهتم العرب بحمل الأقواس، ورمي السهام في القتال ووجدوا في ذلك مدعاة للفخر والنصر–[11] وعلى ما يبدو فقد كان لذلك أثره بوجود حرفيين متخصصين في تجهيزها، وأسواق خاصة بهم كما أشار الفاكهي لذلك في قوله: "... التي عند القواسين"[12]، أو كما عرفهم بـ"... أصحاب الشوحط..."[13].

الحياكة (النسج) والخياطة

النساجة: حرفة النسج، والنساج: حائك الثوب[14]، والخياطة: حرفة الخياطة[15]، فالنسج (الحياكة) والخياطة حرفتان متكاملتان تدعم إحداهما الأخرى, فالحياكة لابد لها من نسيج مسبق، والنسيج لا تتم الفائدة منه إلا بعد حياكته وخياطته، فالحياكة والخياطة كما يقول عنهما ابن خلدون[16] "... هاتان صناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر... فالأولى

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص 55.
(2) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص 715.
(3) ابن هشام، السيرة، 4/ 380.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/-274 – 316
(5) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 278/3.
(6) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 284 , 4/ 226.
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 50/2 , 146.
(8) جواد علي, المفصل, 588/7.
(9) جواد علي, المفصل, 588/7.
(10) درادكة، بحوث، صـ 228-238.
(11) جواد علي, المفصل, 588/7 – 589.
(12) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 288/3.
(13) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 318/3.
(14) القاموس المحيط، 953/2.
(15) القاموس المحيط، 274/1.
(16) ابن خلدون, المقدمة، صـ 411-412.

نسج الغزل من الصوف والكتان والقطن... والثانية تفصل بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة..." ويضيف "... وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة، لما أن الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل وأما المنحرف إلى الحر فلا يحتاج أهله إلى دفء...".

وقد توفر لأهل مكة كميات كثيرة من المواد الخام وخاصة من الأصواف، نتيجة ازدهار حرفة الرعي، فقام أهل مكة بالاستفادة منه عن طريق غزله بحسب إمكاناتهم المتوفرة، وحسب خبراتهم البسيطة، وقد كانت النساء في الغالب هن اللائي يقمن بعملية الغزل، وقد يكون ذلك بسبب انشغال الرجال في أعمال أخرى، وعلى ما يبدو أنه كان لهم موضع في مكة يجتمعون فيه كما يتضح ذلك من ذكر الفاكهي. وكان بمكة الكثير من الغزالين والدليل على ذلك قول الفاكهي: "... دار أبي عزارة، ودار محمد بن إبراهيم المكيين، اللتان عند الغزالين..."[1]، وربما كان عددهم كبيراً نظراً للحاجة الماسة للغزل، سواء في نسج الثياب، أو الفرش، وبيوت الشعر.

وإلى جانب الحياكة والنسج كانت حرفة الخياطة، حيث كان يقوم بها أهل مكة ومن الذين اشتهروا بهذه الحرفة في مكة قبيل البعثة، العوام بن خويلد، وقيس بن مخرمة وغيرهما. [2] وقد كانت لهم أماكن خاصة بهم في أكثر من موضع كما ذكر ذلك الفاكهي بقوله[3]: "... عند الخياطين...".

اشتهر عن أهل مكة لبس أنواع مختلفة من الثياب كما يشير إلى ذلك الفاكهي[4]: "... أن أهل مكة كانوا يلبسون الثياب الموردة فيما مضى من الزمان..." وأنهم كانوا يقومون بصباغتها وتغيير ألوانها "... وإنما كان الرجل يأخذ ثوبيه إزاره ورداءه فيصبغها ببعض الأصباغ ثم يروح فيها ويغدو... " "... ويلبسون الثياب الملونة مثل الحُمر والموردة..."[5]، "... ويلبسون الثياب الممشقة والمثلثة..."[6] إلى جانب رواج ثياب أخرى مستوردة من الشام ومصر وغيرهما[7].

الخبازة

لقد شغلت الحرف والصناعات المتصلة بكل ما يؤكل أو يشرب، عدداً كبيراً من هؤلاء الحرفيين والصناع، ولا غرابة في ذلك فالمأكول، والمشروب كانا من الضروريات التي يحتاج إليها أهل مكة في غذائهم وشرابهم بصفة دائمة.

ومن تلك الحرف والصناعات التي انتشرت بمكة قبل البعثة، حرفة الخبازة، فكان منهم الخبازون الذين يعتمدون على ما تنتجه أرض شبه الجزيرة العربية من الحبوب, أو ما يستورد من الشام، حيث كان القمح غذاءً للفئات الغنية, بينما كان الشعير غالباً هو غذاء الفئة الفقيرة، [8] فضلاً عن القمح والذرة، الذي كانوا يستوردونه من اليمن[9]، ومن اليمامة، التي كانت تنتج كميات جيدة من القمح الذي يعرف بـ"بيضاء اليمامة"[10]، ويذكر الفاكهي أنه كان لهم سوق خاص بهم يعرف "بأصحاب الحنطة"، ويقع جنوب المسجد الحرام أو الشق اليماني[11]، كما أطلق عليهم لقب البقالين نسبة إلى البقول التي كانوا يبيعونها[12].

(1) الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 320/3.
(2) ابن قتيبة, المعارف، صـ576 – 577.
(3) الفاكهي,مكة في قديم الدهر, 2/ 207 ؛ 3/ 150، 280، 284 , 298 , 308 , 326 ؛206/4.
(4) الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 296/1 ؛ 296/3.
(5) الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 296/3.
(6) الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 299/1.
(7) الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 141/3.
(8) جواد علي, المفصل, 58/7 – 59.
(9) ابن رسته, الأعلاق النفيسة, صـ111.
(10) أحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني, كتاب البلدان, تحقيق يوسف الهدى, عالم الكتب، بيروت، 1416 هـ / 1996 م, صـ87.
(11) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 200
(12) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 207، 3/ 100.

ومن الجدير بالذكر أن أهل مكة كانوا من أمهر التجار في اختيار بضائعهم فكانوا يجلبون ما يكفيهم من هذه المحاصيل، وخزنها في أماكن خاص (مستودعات)[1]، يخزن فيها ما يستورد لسد احتياجاتهم، ولذلك ظهرت حرفة صناعة الخبز وهو أحد أهم العناصر في عمل الثريد الذي اشتهر بعمله هاشم بن عبد مناف في مكة في مواسم الحج، كما ذكر ذلك الفاكهي: "... وأول من أطعم الطعام والثريد بمكة هاشم بن عبد مناف, وأول من أطعم البر بالشهد وعمل الخبيص[2] بمكة عبد الله بن جدعان التيمي[3]، وقد تعددت أنواع الخبز فمنه المرقق أو الرقاق، ويسمى أيضاً الطريفة، وهو الرغيف الواسع الرقيق, ويبدو أنه من أطعمة المترفين، ويقدم للضيوف مع بقية أنواع الأطعمة، يقول الفاكهي "حدثنا إبراهيم بن يعقوب... رأيت ابن عباس – رضي الله عنه – يأكل شواءً برقاق حتى يسيل على يديه"[4]، كما عرف أهل مكة نوعاً من الخبز يعرف بخبز الجواري, يعمل من الدقيق الأبيض , وهو لباب الدقيق وأخلصه وأجوده, ويسمى النقي, وهو أيضاً طعام الميسورين. [5] ويشير الفاكهي: [6] إلى أن أهل مكة استخدموا إماءهم في صناعة الخبز، فقد كانت أمة نوبية للسائب بن أبي السائب المخزومي تخبز لهم. وقد عرفت قريش "خبز اللحم"، حيث يحضر الخبز ثم تضاف إليه قطع صغيرة من لحم الجدي الصغير، وهو من الأطعمة المفضلة لأهل مكة[7].

صانعو الأطعمة

يشير الفاكهي إلى وجود فئة من الحرفيين في مكة، كانوا يمتهنون مهنة إعدد الطعام والشراب وبيعه، وقد يرجع ذلك لانشغال التجار بتجارتهم وحركة البيع والشراء، فشجعوا من يقوم بخدمتهم وتجهيز الطعام لهم، وكانت لهم أسواق تشتهر بخدمة الطعام الذي كانوا يقدمونه، فوجد سوق السمك ويسمى سوق الحواتين[8] فكان الصيادون يقدمون مكة من جدة بحيتان تباع في هذا السوق[9]، كما يشير الفاكهي إلى أنه وُجِد في مكة من امتهن حرفة بيع رؤوس الأغنام المشوية[10]، ومن الذين اشتهروا ببيع الطعام في مكة قبل البعثة حاطب بن أبي بلتعة اللخمي (حليف بني أسد) (رضي الله عنه)[11]، كما وجد بائعو التمر ولهم سوق خاص بهم يسمى بـ "سوق التمارين"[12].

صانعو الأشربة

إلى جانب بيع الطعام في أسواق مكة، كانت هناك فئة أخرى تخصصت في بيع المشروبات التي من أهمها الحليب ومشتقاته، حيث يصف الفاكهي رواج هذه الحرفة إلى جانب بيع الأطعمة، ويشير الفاكهي[13]: إلى أن أهل مكة كانوا يشربون

(1) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 288.
(2) الخبيص: حلوى من التمر أو العسل والسمن والدقيق. انظر: ابن سيده, المخصص, 20/5.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 223.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 112/2.
(5) ابن منظور, لسان العرب, 2/ 1044.
(6) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 355/2.
(7) ابن حبيب, المحبر, صـ139.
(8) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 279. لم يكن بمكة شيء من الحوت (السمك) الأخضر، أي الحوت (السمك) الطري الطازج من البحر، إنما كان يقلى بالزيت بجدة، قبل إرساله لمكة، ويضعونه في أقفاص من جريد النخل ليتخلله الهواء أثناء عملية نقله من جدة إلى مكة، عن طريق الحمارة الذين كانوا يعملون على نقل البضائع وغيرها من جدة إلى مكة، فيصل إليها من جدة في ليلة واحدة، أي كانوا يرسلونه قبيل المغرب من جدة فيصل إلى مكة في الصباح، فالحمار الجيد يقطع المسافة من جدة إلى مكة في ليلة واحدة، وما كانوا يرسلونه على الجمال لأنها تقطع المسافة بين المدينتين في ليلتين، وإذا وصل السمك المقلي إلى مكة قاموا بقليه مرة أخرى في الحوانيت ثم يبيعونه خوفاً من تغيره وخرابه. انظر: محمد طاهر كردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، طبع بإشراف عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع مكة المكرمة، 1435ه / 2004م، 2/ 146.
(9) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 371-372.
(10) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 292 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 244/2
(11) ابن قتيبة, المعارف, تحقيق ثروت عكاشة,ط 4، دار المعارف، القاهرة، ص 317.
(12) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 371، 3/ 279.
(13) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 301/3.

الحليب ويخلطونه بالعسل أحياناً أو بالسكر، وكانوا يسمونه شراب الصبوح[1]، ويضيف[2]: أنهم كانوا يسارعون بشرائه وهو في ضروع المواشي كما في قوله: "... كما يصنع أهل مكة, يشترون اللبن في الضروع الشهر والشهرين..."، وكانوا يشربون اللبن الرائب في كل الأوقات، ويقدمونه مع التمر، كما اشتهروا بصناعة لبن الريئة وهو خليط من اللبن الحامض إضافة إلى الحليب وهو عندهم من أطيب الألبان، وكانت العرب تعتقد أنه يكسر الغضب "... إن الريئة تفثأ الغضب..."[3]، كما كانوا يصنعون من اللبن الحامض الأقط[4]، كذلك استخرج أهل مكة من الحليب، واللبن الرائب مواد غذائية أخرى ومنها: الزبد والجبن والسمن[5]، حيث كان بعض القرشيين يأكلون الجبن كمشهٍ لطعامهم, وعن ذلك يقول ابن عبد ربه "... فإنه يشهي الطعام, ويهيج المعدة، وهو حمض العرب ... فإنه يقدح الأسنان، ويشد البطن ..."[6]، وقد عرفت مكة أسواقاً خاصة لبائعي الألبان تعرف بأسمائهم[7].

كما اشتهرت في مكة صناعة النبيذ ويؤكد الفاكهي على ذلك بقوله إن العرب كانت تخير الشارب – الضيف – بين النبيذ أو العسل واللبن بقولهم "... إن هذا النبيذ شراب قد يكون مُغِث ومُرث، أو نسقيك لبناً أو عسلاً ..."[8]، وقد ساعد على انتشار صناعته، قرب مكة من الطائف التي تشتهر بزراعة الكروم, والذي كان يحمل منها إلى مكة فيباع في أسواقها ويصنع منه النبيذ[9]، وإلى جانب الكروم كان يصنع النبيذ من التمور والشعير والذرة[10]، وتذكر الروايات أنه كان للعباس بن عبد المطلب، بركة عند زمزم يسقى عندها النبيذ غير المسكر, واستمرت هذه البركة قائمة حتى صدر الإسلام[11]، وكان أهل مكة يقدمون النبيذ لضيوفهم مع الطعام, وأحياناً يقدم وحده في مناسبات مختلفة, والنبيذ شرابهم المفضل في مجالسهم، ويتفاخرون بتقديمه في أعيادهم, وفي مجالس لهوهم[12]، ولذلك كثرت صناعته بمكة، وكان عقبة بن أبي معيط الثقفي من الذين اشتهروا بصناعة الخمور وبيعها في مكة[13].

حرفة البناء

لا يمدنا الفاكهي بمعلومات وافية عن البنائين وطريقة البناء رغم أهميتها في حياة الإنسان المقيم والمستقر، باستثناء ما ذكره عن قيام العمال بقطع الحجارة للبناء من جبال حراء وثبير[14]، ليبنوا بها دورهم[15]، وإن تعزر الطوب والحجر قاموا بالبناء بالطوب اللبن (الآجر)، خاصة بيوت غير القادرين على البناء بالحجر[16]، فبعض بيوت مكة بنيت بالآجر الأحمر والجص وبه يطلا[17].

(1) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي, العقد الفريد, تحقيق أحمد أمين, أحمد الزين, إبراهيم الأبياري, سلسلة الذخائر، القاهرة, 2004 م, 4/ 415.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 96.
(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار, 3/ 208.
(4) الأقط: لبن محمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به. انظر: المعجم الوسيط, 22/1.
(5) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 301/3.
(6) ابن عبد ربه, العقد الفريد, 6/-308
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 330.
(8) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 57/2.
(9) إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري, المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني, مراجعة شفيق غربال, دار القلم، القاهرة، 1381 هـ / 1961 م , صـ24.
(10) جواد علي, المفصل, 540/7.
(11) الأزرقي, أخبار مكة, 60/2 ؛ الفاكهي, مكة في قديم الدهر, 57/2 , 59.
(12) ابن عبد ربه، العقد الفريد, 4/ 364.
(13) ابن قتيبة، المعارف، ص 575.
(14) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 180/2, 225/4.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 289/3, 290.
(16) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 201, 332.
(17) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 287/3.

أما عن العمال فيشير الفاكهي بأن معظمهم كانوا من الموالي[1]، والحق أن كثيراً من الموالي ساهموا في عمارة الدور بمكة, وسكنوها حتى نسبت إليهم, ولا ندري إن كانوا هم الذين عمروها بأنفسهم, أم أنهم استعانوا بعمال بناء من نفس طبقتهم، كما في بناء شعب الخوز والذي ينسب بناؤها إلى موالي لعبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث الخزاعي[2]، وبناء زرزر من مولى بني الجبير بن مطعم[3]، والديلمي من موالي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)[4]، وزيقيا من موالي لآل أبي ربيعة المخزومي[5]، حيث قام البناءون ببناء الكثير من الدور مثل دار العجلة[6]، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي[7]، ودور أخرى[8]، مستخدمين النورة في عملية البناء[9]، ثم طلاؤها بالبياض[10]، وربما نقشت دور أخرى بالجص مثل دار الحرشي[11].

كما كان البناءون يقومون بحفر الآبار بمكة، وعمل البرك والساقيات[12]، وهذا يعكس بدوره وجود العاملين بهذه الحرفة.

ومن الحرف المتصلة بالبناء قطع الحجارة[13]، والبناء بالحجر المنقوشة[14]، أو فيها تماثيل مصورة في الحجارة، ولكن الفاكهي لم يعطنا أية معلومات عنها سوى ذكره لأصحاب النورة[15]، ومن اللفظ يدل معناه على كثرة عددهم نظراً لما يقومون به من استحضار النورة من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس، الذي يستخدم في إزالة الشوائب غير المرغوب فيها خاصة في الصناعات الجلدية[16].

السقاية

احترف سكان مكة عدة حرف أخرى لم يسعفنا الفاكهي بذكر تفاصيلها, مثل حرفة السّقائين, وهؤلاء كانت حرفتهم من الحرف المهمة في مكة, لتزويد المنازل بالماء لسد احتياجاتهم، وفى حالات أخرى كان بعض المكيين يحفرون آباراً في منازلهم أو قريباً منها لسد حاجتهم وحاجة أقربائهم أو جيرانهم[17]، وارتبط بهذه الحرفة حرفة الحمارين والجمالين لجلب الماء من الآبار إلى البيوت، وقد امتهن هذه الحرفة الرجال, والنساء، فأما النساء فكن يحملن الماء في القرب والدلال لتوصيلها[18]، وكان عمل هؤلاء الرجال والنساء لكسب الرزق الحلال[19]، وقد يكون السقاة أحراراً من ذوي الحاجة أو عبيداً يبيعون الماء لصالح أسيادهم[20].

(1) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 201/4.
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 275/4 ؛ الأزرقي، أخبار مكة، 275/2.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 210/4، 211.
(4) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 175/4.
(5) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 244/3 – 245.
(6) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 309/3.
(7) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 287/3, 331.
(8) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 233, 252.
(9) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 245؛ 100/3.
(10) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 287.
(11) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 226, 276.
(12) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 14 ؛ 3/ 149 , 151 , 226 , 4/ 111 , 116.
(13) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 2/ 180 , 3/ 279 , 290.
(14) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 279.
(15) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 100. من الجدير بالذكر أن صناعة النورة استمرت في مكة المكرمة، بطريقتها البدائية إلى وقت قريب، وقد كان جد الباحث أحد المنتسبين لهذه الصنعة في مكة، وهو محتسب مكة في الربع الأول من القرن الرابع عشر وهو الشيخ محمد سمسم بن أحمد الجمل الحسني، وكان يلقب بالنوار حيث كان يمتلك عدداً من الأفران في إحدى ضواحي مكة، والتي تعرف حاليا بالنوارية على طريق المدينة المنورة، حيث يتم إحراق الحجر الخام في تلك الأفران، ثم تنقل النورة إلى مكة، حيث كانت هناك أماكن مخصصة لاستقبالها، وكانت في منطقة شعب عامر وتعرف ببئر سمسم - نسبة لوالدته - والتي حفرتها في تلك الناحية، ومنها تباع في مكة، حيث كانت لها أهميتها في البناء والطلاء وغيرها من أعمال تجهيز وإزالة الأوساخ للجلود.
(16) المعجم الوسيط, 971/2.
(17) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 100 , 113 , 114 , 116.
(18) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 1/ 331 , 332.
(19) ابن هشام, السيرة النبوية, 2/ 616.
(20) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 75.

الحطابة

احترف بعض سكان مكة حرفة الحطابة حيث عمل بها الموالي والرقيق، مثل المولى نجدة مولى عمرو بن العاص، وكذلك عمل بها بعض الزنوج في مكة(1).

حرفة النقل

امتهن بعض أهل مكة ومواليها حرفة الجمالين والحمارين، وكانوا يكسبون رزقهم عن طريق نقل المسافرين، ونقل البضائع، وإكراء الدواب، واشتهر من أهل مكة رجال من خزاعة[2]، بهذه الحرفة فكان الحمارون ينقلون البضائع بسرعة تفوق سرعة الجمالة، وقد ورد ذكر الحمارين وأصحاب الحمُر عند ردم آل أسيد[3]، إلى جانب حرف أخرى لم يدلنا الفاكهي عنها، لذلك لم نستطع الكتابة عنها نظراً لارتباط البحث بالحرف التي ورد ذكرها عند الفاكهي فقط، دون غيرها.

الخاتمة

يُعد كتاب الفاكهي الذي يحمل عنوان " أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه " من الكتب النفيسة والمهمة في تاريخ البلد الحرام، وإن المادة العلمية والتاريخية والأدبية المدونة في كتابه عن تاريخ مكة تفوق بكثير ما دونه وسجله الأزرقي في كتابه " أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار "، أو مادونه الفاسي في "شفاء الغرام" رغم أن ما وصلنا من كتاب الفاكهي هو النصف الثاني من كتابه، بينما فقد النصف الأول من الكتاب، حيث يعتبر ما وصلنا من كتابه وثيقة مهمة في تاريخ البلد الحرام، في الفترة التي ترجع لزمن المؤرخ – القرن الثالث الهجري – وكذلك الأزمنة التي سبقته، حيث شمل مقتطفات من تاريخ مكة في الفترة التي سبقت بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم (العصر الجاهلي)، من النواحي الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، وقد حظيت أخبار الحرف والصناعات في مكة المكرمة حيزا لا بأس به في مدونته، حيث رصد لنا الحرف والصناعات التي كانت سائدة في المجتمع المكي قبيل بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، واستمرار معظمها في العهود الإسلامية المجيدة، وأظهر أشهر الحرف والصناعات التي عمل فيها أهل مكة، بالإضافة إلي حرفة التجارة التي اشتهروا بها، والتي شكلت معاً عوامل مؤثرة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة، ومنها الحدادة، والصياغة، والنجارة، والجزارة، والدباغة، والخرازة، والنسج والخياطة، وصناعة الأقواس، وبيع الطعام في الأسواق، وحرفة البناء، وغيرها مما شملته الدراسة، وحال تلك الحرف والصناعات والقائمين عليها، وانتشارها، وأسواقها المشهورة.

حيث يتضح من الدراسة الدور الذي لعبته تلك الحرف والصناعات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مكة، وأنها لا تقل تأثيراً عن الدور الذي لعبته التجارة – الحرفة الرئيسية للمجتمع المكي – مع الأخذ في الاعتبار أن هناك حرفاً وصناعات انتشرت في مكة ولم يتعرض لها الفاكهي في كتابه كصناعة الأدوات المنزلية، والسروج ومهنة السقاية.

ونستنتج من الدراسة، أنه على الرغم من شيوع فكرة تعفف كثير من العرب عامة وبعض أهل مكة خاصة، من اتخاذ الحرفة والعمل اليدوي وسيلة من وسائل طلب الرزق، واحتقارهم لكل من يلتزم أو يتعلم حرفة، إلا أنه يتضح لنا من خلال الدراسة، أن هذا الأمر لم يكن شائعاً في مكة، فقد أشار الفاكهي إلا أن كثيراً من أهل مكة– من السادة والموالي والعبيد– امتهنوا حرفاً وصناعات مختلفة، لسد حاجة سكانها، والقادمين إليها في مواسمها الدينية المتعددة، من خلال أفراد وأسر أتقنوا صناعاتهم وتوارثوها، وانتشروا في ربوع مكة، وأنشئوا لهم أسواقاً متعددة خاصة بمهنهم، كسوق الحدادين، أو زقاق الحذاءين.

كما كانت هناك أسواق مخصصة لاستقبال القوافل التجارية القادمة لمكة، وتحمل مسمى البلاد القادمة منها البضائع التي تباع فيها، كدار مصر، وهي متخصصة لبيع التجارة القادمة من مصر، أو أسواق متخصصة لبيع نوع معين من البضائع

(1) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 3/ 75
(2) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 4/ 153 – 154.
(3) الفاكهي، مكة في قديم الدهر، 279/3 , 299.

القادمة لمكة كدار الحنطة والتي كانت مخصصة لبيع الحنطة، وأن هذه الأسواق تتسع وتتكمش وفق المواسم المختلفة التي تمر بها مكة طوال العام وخاصة في مواسمها الدينية.

لقد قدم أولئك الحرفيون لأهل مكة والوافدين إليها كل ما يحتاجونه في حياتهم المعيشية، وتوفير الرخاء والرفاهية لهم، فليس كل ما يطلبه سكان مكة يجلب لهم من الخارج، أو عن طريق الاستيراد.

وكما كان للحرف والحرفيين دور بارز ومهم في النشاط الاقتصادي لمكة، فقد كان لهم نفس الدور والتأثير على الحياة الاجتماعية في مكة أفرادا وأسرا، خلال العصر الجاهلي أو الفترة التي سبقت بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، واستمرارها في صدر الإسلام، والعهود الإسلامية اللاحقة.

المصادر والمراجع العربية:

1. **الأزرقي**، محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، دار الثقافة، بيروت، 1399هـ/ 1979م.
2. **الأزهري**، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الله درويش، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة، (د.ت).
3. **الأصطخري**، أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارس، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1381 هـ / 1961 م.
4. **الأفغاني**، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط 2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/1993م.
5. **الأندلسي**، ابن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين إبراهيم الأبياري، سلسلة الذخائر، القاهرة, 2004 م.
6. **البابطين**، إلهام أحمد، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام، حتى نهاية العصر الأموي، الرياض، 1419هـ/1998م.
7. **ابن بكار**، الزبير، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، 1381هـ.
8. **الجوهري**، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، 1402هـ/ 1982م.
9. **ابن حبيب**، أبو جعفر محمد البغدادي، المحبر، اعتنت بتصحيحه ايلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
10. **حسن**، حسين الحاج، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1997م.
11. **الحموي**، محمد ياسين، مختصر تاريخ العرب، دمشق، 1928م.
12. **الحموي**، ياقوت بن شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د ت).
13. **ابن حيان**، خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، (د.ت).
14. **الخزاعي**، علي بن محمد بن سعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1985م.
15. **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت).
16. **درادكة**، صالح موسي، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين للنشر والتوزيع، عمان، 1408هـ/1988م.
17. **ابن رسته**، أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، دار صادر، بيروت، عن طبعة بريل، 1893م.

18. **الرشيد**، ناصر بن سعد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطه وموقعه، ط1، دار الأنصار، القاهرة، 1397هـ/ 1977م.
19. **الزبيدي**، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازي، الكويت، 1984م.
20. **الزهري**، محمد بن مسلم، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق, 1401هـ/ 1981م.
21. **سالم**، سيد عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002م.
22. **سحاب**، فكتور، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.
23. **السقطي**، محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، في آداب الحسبة، باعتناء ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955م.
24. **سلامة**، عواطف أديب علي، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، دار المريخ للنشر، الرياض، 1414هـ/1994م.
25. **ابن سيده**، علي بن إسماعيل، المخصص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت).
26. **الشريف**، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، (د.ت).
27. **الشويري**، ظاهر خير الله، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة، م19، 1904م.
28. **الصمد**، واضح، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1402هـ/ 1981م.
29. **الطبري**، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
30. **العسقلاني**، أبو الفضل أحمد بن علي **ابن حجر**، الإصابة في تميز الصحابة، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1328هـ.
31. **علي**، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة النهضة، دار العلم للملايين، بغداد 1976م.
32. **علي**، محمد كرد، رسائل البلغاء، مطبعة الحلبي، مصر، 1963م.
33. **الفاسي**، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/ 1985م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مطبعة السنة المحمدية، 1378هـ.
34. **الفاكهي**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط2، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1414هـ/ 1994م.
35. **ابن الفقيه**، أحمد بن محمد الهمداني، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهدى، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/ 1996م.
36. **ابن قتيبة**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م.
- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط 4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
37. **الكردي**، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، طبع بإشراف عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة, 1425هـ/2004م.
38. **ابن الكلبي**، هشام بن محمد بن السائب، مثالب العرب، الملك سعود، ورقة 34.
- كتاب مثالب العرب مع نصوص من مثالب الهيثم بن عدي، دراسة وتحقيق جاسم ياسين الدرويش وسليمة كاظم حسين، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2015م.
39. **المجيلدي**، أحمد بن سعيد، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق موسى لقبال، الجزائر، 1970م.

40. **المعجم الوسيط**، القاهرة، ط3، مجمع اللغة العربية، 1405هـ.
41. **ابن منظور**، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
42. **ابن هشام**، عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د,ت)
43. **الهمداني**، الحسن بن الحائك أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ / 1990م.
- –كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، تحقيق حمد الجاسر، ط1، الرياض، 1408هـ/1987م.

المراجع المعربة:

44. **كرون**، باتريشيا، تجارة مكة وظهور الإسلام، ط1، ترجمة ودراسة آمال الروبي، مراجعة وتقديم محمد إبراهيم بكر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.
45. **كستر**، م. ج.، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، دار الحرية، بغداد، 1396هـ/ 1976م.

المراجع الأجنبية:

46. **Lammen, H.**, La Macque, Beyrouth, 1924.
47. **Mahammad, Tarek.M.**,"AL –Fakihi and the Religious Life at pre – Islamic makka, in people from the Desert pre – Islamic Arabs in History and culture, ed. N Aljallad, Wiesbaden, 2012, pp155-184.